

موسم الامتحانات

الملحق الثقافي لجريدة المغرب

إذا أقبلت شهور الصيف حيث تشرف العطلة المدرسية وحيث تقفل المدارس أبوابها فإن هذا الشهر الذي يتقدم ذلك يمتاز عن بقية شهور السنة بنشاط بين التلاميذ وباهتمام بين الآباء وبحركة في الأوساط التي تمت بصلة للحياة المدرسية أو الجامعية، فإن جميع الأنطارات تصوب لناحية واحدة وتنتظر نتيجة واحدة، فالكل يرقب الامتحانات والكل ينتظر نتائجها، فإذا ظهرت أحدهن ضجة بين الطلبة، فريق يرقص طرباً وفريق ينتحب غماً، هناك فريق يغادر قاعة الامتحانات وقد سمع نتائجها مطمئناً الخاطر هادئ النفس، كأن مجاحه أو رسوبه لا يعنيه، وفريق يندب حظه فإنه قد أتقن جميع دروسه ولم يغفل إلا عن الدرس الذي امتحن فيه، فلم يعره اهتماماً نظراً لسهولته، ولعدم تصوره أنه سيمتحن فيه، وفريق هازل يعلن أنه لم يدرس إلا الدرس الذي امتحن فيه، فإذا درجاته ضوّعت وإذا به يفوز في الامتحان وينال الشهادة، وفريق شغل نفسه طول السنة المدرسية بما لا يعنيه وهو تلميذ المدرسة فلم يشعر بالندم إلا الساعة التي تقرر فيها الامتحانات، هناك تراه كاسف البال، مهموم الخاطر، يحاول أن يتقدم للامتحان معتبراً إياه « يانصيب » فإن فاز فرح وإن فشل فهو من الآن نادم مغتاظ.

صور عديدة تلك التي تصبح بعد أن يمسى الطالب في الميدان العملي للحياة ذكرياتها محببة لديه، عزيزة عليه، يعيش في جوها كلما اقترب موسم الامتحانات الذي لا يشغل الطلبة وحدهم، بل يشغل جميع المنتديات وكل الهيئات ويملاً فراغاً كبيراً من أعمدة الصحف ناشرة النتائج، دارسة لها، منتقدة لأساليبها، موضحة المناهج الجديدة للتعليم.

فإن مستقبل الأمة يتوقف على هذا الشهر من كل سنة، وإن سيرها خطوة جديدة في ميدان الرقي الفكري لا يتضح إلا عندما تظهر نتائج الامتحانات، فلا غرابة إذن إذا شغلت تلك النتائج الأمة جميعها، وليس من الغلو أن نرى اهتمام الحكومات بتلك النتائج يفوق اهتمامها بكثير من المشاريع التي تدعم صرح الأمة من ناحية مادية. فإن التعليم لم يبق أمرا ثانويا يعني طائفة من الأمة، بل أصبح أمرا ضروريا لا غنى عنه لكل رجل وكل امرأة وإلا فيعد الفرق بينهما وبين حيوان يمشي على أربع.

شهر الامتحانات شهر خطير في تاريخ الأمم التي تقدر وتعمل على أن يخطو في كل سنة خطوة جديدة إلى الأمام، فلا يمر دون أن يحدث ضجة يتجاوز صداها في أنحاء البلاد ودون أن تقف وزارة التعليم وهي تحاسب نفسها أمام الأمة لتعلن عن تقدمه خلال سنة خلت وعن آمالها في تقدمه في سنة أقبلت.

ونحن الآن في هذا الشهر فلما ضجة الامتحانات في وسطنا؟ وهل تحاسب إدارة التعليم وهيأته نفسها أمام الأمة تلك المحاسبة؟

«كل شيء هادئ في الميدان الغربي» ما أصدق عنوان هذا الشريط السينمائي الشهير أن يطلق على أمتنا في أية ناحية من نواحي الحياة وناحية التعليم بصورة خاصة. فحاول أن تستمع لضجة وحاول أن ترى الأمة تنتظر نتائج الامتحانات وأن تشاهد نشاط الطلبة أو اهتمام الآباء وأن تلمس حركة في أواسط التعليم غير عادية. إن شيئاً من ذلك لم يكن ولن يكون ما دامت الأمة لا تقدر للتعليم قدره فتذل فيه أعلى المجهودات وتطالب لنفسها بنصيتها مطالبة جدية لا مطالبة تمني.

فوويل لأمة لا تقدر التعليم ولا تعمل في سبيل تقويته وويل لشعب ينفق عن سخاء في أي سبيل سخيف ويدخل بذرءيات معدودة لمشروع ينقذ أفراد الأمة من جو الحبلى الخائف. يرضى الأب ويسعد بإقامة حفلات زفاف ابنه فينفق كل ماليته عن رضى وفي حبور ولكنه يدعى ويشتكي الأزمة والفقر كلما طالبه بمجهود يسير لتعليم ابنه؛ نعم

الحفلات ونعدد المآدب ونملاً البطون لأتفه المناسبات، فإذا حل شيخ كبير في مدينة سارعنا إلى تكريمه وتزلفنا إليه باجتماعات يفترس فيها اللحم والخنز، وتنافسنا في توسيع موائد ذلك كل التنافس، ولكننا لا نهتم بطالب مجد أصبح في عداد رجال الأمة بتعلمه وإحرازه على شهادة عليا فكرمه لنجعله قدوة لأمثاله من الشباب ونظهر منزلته العالية بين أفراد الأمة الجهلاء ليحترم ويعتبر رأيه وينجح مسعاه.

فإلى متى ونحن نجهل خطورة شهر الامتحانات في حياتنا فلا نرى أي فرق بين هذا الشهر وبين الشهور الأخرى؟

وإلى متى ونحن لا نبذل أي مجهد في ميدان التعليم، بل وإلى متى ونحن نعيش ببطوننا لا لعلونا؟